أسبوعيات نائب ٧ / ٤ / ٢٠٠٣

الرئيس السابق للمخابرات الأمريكية المركزية يعلن الحرب العالمية الرابعة

ناهض منير الريس

النائب عن مدينة غزة

دخل الصبي في غزة على والدته في المطبخ على غير انتظار منها ، فوجدها أمام موقد الطبخ ترفع يديها إلى السماء وتدعو الله بصوت مسموع لينصر العراق وأهل العراق . فقال لها متعجبا :

- ما هذا ؟! أنا لم أرك تدعين هكذا لانتفاضتنا !!

- بل طالما دعوت ليلا ونهارا .

- ولكن ليس بهذه الحرارة .

فغلبتها العاطفة ، واحتضنت ولدها وهي تجهش بالبكاء وتقول :

- إن النار التي صبوها فوقهم أشد من النار التي صبوها فوقنا .

وفي رفح المنكوبة ، حيث سقط في الأسبوع الماضي أربعة شهداء برصاص الاحتلال ، وأصيب ثلاثة شبان بجراح ، وقامت الجرافات الضخمة بتجريف صف من منازل اللاجئين بحجة القضاء على محاولات حفر الأنفاق بين رفح الفلسطينية ورفح المصرية ، لا يتوقف الناس عند هذه الكوارث المأساوية إلا ريثما يدفنون قتلاهم أو يضعون جرحاهم في المستشفى ، وربما قطع بعضهم الصمت أثناء مشوار الجنازة متحدثا عن خبر سمعه لتوه عن وقائع المعركة في العراق .

ويوم الجمعة الماضي اجتاحت دبابات الاحتلال مخيم النصيرات بحثا عن (مطلوب) من أبناء المخيم فلم تجده ، ولم تغادر المخيم إلا في الصباح . ولكن حدوث ذلك الحدث المروع في الليل لم يمنع أهالي النصيرات بعد صلاة الجمعة من المشاركة في المسيرة والمظاهرة التي نظمتها مخيمات المنطقة الوسطى الثلاث للتعبير عن التأييد والدعم للعراق .

وكذلك كان صنيع الشاب ثائر عثمان المولود في مخيم برج البراجنة للاجئين بلبنان شيئا يختلف في الدرجة فقط ، وليس في النوع ، عن صنيع الفلسطينيين في الضفة والقطاع الذين تعلقت قلوبهم بمعركة العراق ضد الغزاة ، والذين لو أتيحت لهم حرية الحركة كما أتيحت له لكانوا معه في التحاقه بالمقاتلين في العراق ونالوا معه شرف الشهادة .

شهد شاهد من أهله

وقبل أن نذكر من زاوية النظر الفلسطينية الأسباب التي توحد في نظر الفلسطينيين ما بين معركتهم ومعركة العراق ، نورد تلك الشهادة المهمة التي نطق بها محلل عسكري إسرائيلي في إحدى القنوات التلفزيونية قبل أسبوع إذ قال : " إن الوضع في جنوب العراق بات شبيها إلى حد ما بالوضع في الضفة الغربية وقطاع غزة . " وشرح ذلك بالقول : " إذا تابعنا المعارك في المدن لاحظنا أوجه شبه عديدة بما حدث هنا خلال عملية السور الواقي التي نفذتها إسرائيل في ربيع ٢٠٠٢ وأعادت خلالها احتلال كامل الضفة الغربية " وقد ضرب أمثلة عن تصرف الجنود الأمريكيين المتوترين الذين أطلقوا النار على الباص العراقي الملئ بالنساء والأطفال ، وبين تصرفات مشابهة للجنود الإسرائيليين .

أما من زاوية النظر الفلسطينية فالبراهين على وحدة المعركة أكثر واعظم مغزى بكثير .. ولندع جانبا أمورا (عادية للغاية) من قبيل استخدام الأمريكيين سلاحا إسرائيليا ، كصاروخ الإضاءة الذي لم ينفجر فوجده المقاتلون في بغداد بما عليه من كتابات عبرية . . ولندع جانبا كذلك أمورا من قبيل الخبر الذي أوردته بعض وكالات الأنباء وتحدث عن التحاق أربعين عسكريا إسرائيليا بالقوات الأمريكية في العراق . ولنتمعن في الحرب ضد العراق من وجهة النظر الاستراتيجية .

صحيح أن لأمريكا وإسرائيل مصلحة في القضاء على القوة العسكرية العراقية . ولكن هذه المصلحة مختلفة في نوعها ودرجتها ومداها . فأمريكا تريد الإبقاء على ميزان القوى العسكري في العالم على حاله الراهن حيث تتربع الولايات المتحدة على عرش القوة وتقوم بفرض هيمنتها ونفوذها في

السياسة الدولية بفضل تفوقها الحربي وبمقدار ذلك التفوق . والعراق لا يشكل تهديدا جديا لهذا المعنى من قريب أو بعيد . وتوجد قبل العراق قائمة طويلة من الدول التي تفوق العراق بما تملك من ترسانة عسكرية أو من قاعدة علمية أو من منشآت للتصنيع الحربي . ومن الطبيعي أن تسعى دولة تجلس على ثاني أهم مخزون نفطي في العالم إلى أن تضمن لنفسها مكانا محترما - إن لم يكن مرهوبا - في منطقتها . وهذا أمر تفهمه الولايات المتحدة تماما ، وتعرف من ناحية أخرى أن سياسات العراق النفطية لم تقف حجر عثرة في وجه ما يدعى مصالح الولايات المتحدة في الخليج . وقد كان بوسع الولايات المتحدة دائما أن تجد طريقة للتفاهم مع العراق . ومجمل القول إنه على افتراض وقوع خلاف أو تضارب بين أمريكا والعراق ، بل وإذا افترضنا أن ذلك الخلاف بلغ حد التناقض - وتلك مبالغة كبيرة ! - فإن ذلك الخلاف ، أو التضارب ، أو التناقض ، ما كان ليتطلب شن شكل من أشكال الحرب الكبرى ضد هذا البلد الشرق - أوسطي الخليجي الحساس ، ودفع هذا الثمن الباهظ من الدماء ومن السمعة والمكانة والمصالح المستقبلية .

الأمريكي المنوم مغناطيسيا

لكن سياسة الولايات المتحدة حيال العراق ، بل قل حيال الشرق الأوسط كله ، سياسة صهيونية تضع أطماع إسرائيل وأهداف إسرائيل في الأولوية المطلقة ، قبل مصالح الولايات المتحدة نفسها . وقد لا يكون هناك تناقض بين المصلحتين الأمريكية والإسرائيلية ولكن ترتيب الأولويات يختلف طبعا ، والولايات المتحدة تدفع ثمنا باهظا بالنيابة عن إسرائيل التي يرعاها اللوبي الصهيوني هناك ويجتهد في تسخير المقدرات الأمريكية كلها من أجلها . ويعمل جاهدا من أجل ذلك اتجاه مذهبي مسيحي إنجيلي - صهيوني مهووس تقوده مجموعة من رؤساء الكنائس المتصهينة في الولايات المتحدة ، يقف على رأسها رجال دين ذوو شعبية واسعة من أمثال جيمي سواجارت وجيري فولويل وبات روبرتسون (وهذا الأخير هو الذي يقيم الصلوات كل يوم في البيت الأبيض ، وهو بمثابة الواعظ الخاص للرئيس بوش) . وقبل سنوات من شهودنا هذا الانجرار الأمريكي المنوم

مغناطيسيا خلف الإرادة والمشاريع والأطماع الإسرائيلية كان جيمي سواجارت يقول : ((أشعر أن الولايات المتحدة مرتبطة بحبل ولادة سري مع إسرائيل .. والله ما زال يقول إني أبارك الذين يباركون إسرائيل وألعن من يلعنونها . ومن فضل الله على الولايات المتحدة أنها ما زالت قوية اليوم . وأنا واثق أن هذا يعود إلى كونها تقف وراء إسرائيل وأدعو الله أن تظل دوما سندا لإسرائيل)) (هكذا !) .

أصبحت هذه الهلوسات الدينية التي دفع اللوبي الصهيوني ثمنها نقدا مستثمرا في شبكات تلفزيونية وإذاعات ومجلات ومطبوعات ، سياسات رسمية معتمدة يجري تنفيذها بحماس ، بفضل بوش الصغير وأركان حربه وحرب أبيه : نائب الرئيس تشيني ووزير الدفاع رامسفيلد ونائبه وولفوتز ومستشارته لشؤون الأمن القومي كوبراليسا رايس .

هؤلاء خاصة ، ولا نستثني كولن باول على كل حال ، جعلوا من إسرائيل وجيشها مثلهم الأعلى . وقد كان من التصريحات الأولى التي أصدرها الرئيس بوش قوله إن شارون رجل سلام ! (مثله تماما !) وآخر صيحة في هذا الاتجاه ربط أيدي المدنيين العراقيين الأسرى وراء ظهورهم ، أو شد الأيدي إلى الرؤوس مع إحكام قيدها . ومن ذلك أيضا اعتبار الجرافات التي تهدم بيوت الناس جزءا لا يتجزأ من الدورية المقاتلة ضد المدن والقرى العراقية ! يا له من زمن ! ويا للقدوة الإسرائيلية من قدوة إنسانية !

ويجمع كثير من المفكرين ورجال السياسة (وآخرهم محاضر محمد رئيس جمهورية ماليزيا) أن الحملة الأمريكية على العراق تلبي أساسا رغبة إسرائيل وحماتها في القضاء على أي احتمال ببروز قوة عسكرية تنازعها في المنطقة .

والفلسطينيون من ناحيتهم يستشعرون هذه المعاني بالغريزة تقريبا ، أو لعله بحكم التجارب المتراكمة التي تشحذ الوعي وتصوب الأحكام . ومن هنا كانت المتابعة الفلسطينية لما يجري في العراق متابعة مشاركة لا فرجة .

ومن هذا المنطلق تقودنا الرؤية إلى الاستنتاج أن القيادة الأمريكية التي ورطت في هذه الحرب ، قد أخذتها العزة بالإثم ، وانتقلت من مغامرة إلى مغامرة بطيش بالغ . وأعتقد أن إصرارها على الاستمرار خلال موسم الحر في الحرب التي لم تستطع أن تحسمها لهي مغامرة طائشة بصورة واضحة . فوفقا لآخر التصريحات العسكرية الأمريكية من قاعدة السيلية بقطر ، بدا واضحا أن ما تقوم به القوات الأمريكية في الوقت الحاضر نوع من حرب الاستنزاف المستمرة لتهديم وتدمير كل ما يمكن تدميره وتهديمه ، ولمحاولة استدراج القوات العراقية إلى قتال في مناطق مكشوفة تصبح فيها فريسة للطيران الأمريكي المتفوق . ويمكن الاستنتاج أن هذه الخطة الأمريكية سوف تستمر إلى أن تصل القوات الأمريكية الكبيرة بعد قرابة أسبوع ويكون الجهد قد أخذ من المدافعين العراقيين مأخذه ، وعند ذلك يقوم الأمريكيون بهجومهم الحاسم على المدن العراقية ، وعلى رأسها بغداد .

الحرب العالمية الرابعة

إلا أن أولئك الذين زينوا للولايات المتحدة هذه الحملة الإجرامية على العراق من أجل أهداف إسرائيل في المقام الأول ، قد ألبسوها ثوبا استراتيجيا واسعا يناسب المقاس الأمريكي .

ومن انعكاسات هذه الوسوسات الاستراتيجية صهيونية المنشأ على الفكر اليميني الأمريكي ما قامت به مجموعة تطلق على نفسها اسم أميركيون من أجل الانتصار على الإرهاب من تنظيم سلسلة من الندوات والمحاضرات بدأتها في لوس أنجلس بولاية كاليفورنيا بواسطة موظف سابق مهم في أمريكا يدعى جيمس وولسي ، وهو رئيس السي آي إيه السابق وأحد المقربين من إدارة بوش والمرشحين لاستلام منصب كبير في حكومة الاحتلال الأمريكي للعراق بعد الحرب - على حد قول قناة السي إن إن - . ولا يمكن الاستهانة برجل هذه أوصافه . وهو لا يهرف بما لا يعرف ، بل هو من الذين يصدق عليهم وصف (العليم ببواطن الأمور) .

يقول هذا الرئيس السابق للسي آي إيه : إن الولايات المتحدة الأمريكية أمضت أربعة عقود من الزمن في الحرب الباردة . وكانت تلك الحرب حسب

مصطلحه الخاص هي الحرب العالمية الثالثة . ومن هنا فإن ما تقوم به الولايات المتحدة في الوقت الراهن هو بداية الحرب العالمية الرابعة . أما الأعداء في هذه الحرب فهم ثلاثة أصناف : الأول إيران وسوريا والعراق . والثاني جكام مصر والسعودية . والثالث بن لادن وتنظيم القاعدة !

وليست هذه هي المرة الأولى التي تذكر فيها مصادر أمريكية ذات وزن مسألة استهداف حكام مصر والسعودية . ومن الملاحظات الملفتة للنظر أن وولسي يذكر الرئيس مبارك بالاسم فيقول : " نريدكم أن تفهموا الآن للمرة الرابعة خلال هذا القرن أن هذا البلد وحلفاءه قد تحركوا وأنهم يقفون إلى جانب الذين يخشاهم الرؤساء من أمثال مبارك والأسرة الحاكمة في السعودية أكثر من أي شيء آخر . إننا سنقف إلى جانب شعوبكم ". وهكذا صور وولسي نفسه وأمريكا في صورة محرري الشعوب العربية - وليس شعب العراق وحده - من الحكام غير الديمقراطيين .

ربما يقول الذين يتمحكون بالمعاذير لكل موقف أمريكي (وهم في الواقع يتمحكون من أجل تبرير العجز وانعدام الحيلة) إن وولسي لا يمثل الرأي الرسمي الأمريكي فهو رئيس سابق للسي آي إيه . وربما يقولون إن مرحلة ما بعد التاسع من سبتمبر كانت نقطة انعطاف حادة في رؤية أمريكا للعرب والمسلمين . ولكننا نذكر هؤلاء من جديد ، وقد سبق أن ذكرناهم سابقا ، إن الرئيس الحالي للسي آي إيه جورج تينيت قال لياسر عرفات بحضور الرئيس كلنتون أثناء مفاوضات كامب ديفيد " إن الشرق الأوسط ، بشعوبه ، وحدوده ، قابل للتغيير " . ونذكر إخواننا أيضا وأيضا أن تصريح جورج تينيت سابق كثيرا على عملية نيويورك وواشنطن في التاسع من سبتمبر . ونذكر إخواننا أخيرا - لا آخرا - بتصريح كولن باول في الشهر الماضي أمام الكونغرس حين قال : " الهدف من حملتنا على العراق هو إعادة تشكيل الشرق الأوسط بما يناسب المصالح الأمريكية " (!)

حزب عبيد العصا

هل ظل لدى أي حاكم عربي أو إسلامي شك في أن المستهدف ليس صدام حسين وحده ؟ وهل استهدف الأمريكيون صدام حسين للأسباب التي

يقول بها الحكام العرب أم استهدفوا العراق ببساطة لأنه بلد عربي إسلامي توفر له النفط والماء والعلم معا ؟ وهل أدرك الحكام العرب أم لم يدركوا بعد ، أن شعار تحرير العراق الذي رددته أجهزة الدعاية الأمريكية ـ الصهيونية زورا وبهتانا قد يرتفع ثانية وثالثة ورابعة مع حذف كلمة العراق ووضع اسم أي بلد عربي في مكانها ؟ وهل بات واضحا أن تنازل صدام حسين عن السلطة أو قبوله النفي من بلده ما كان ليقدم أو ليؤخر في خطط الأمريكيين حيال العراق والمنطقة ؟

إن هذا الموقف الذي يتوهم أن النجاة الفردية هي الوحيدة الممكنة ، وأن مسايرة السياسة الأمريكية وتجاهل بطشها والتعامي عن نواياها هو الأسلوب الوحيد للحصول على تذكرة النجاة الفردية نقول : إن هذا الموقف ليس من شأنه إلا إضافة الاحتقار الأمريكي ضد العرب إلى نية الأمريكان المبيتة أن يحتلوا الأوطان وينهبوا الثروات .

وقد سمعنا الكثيرين من البسطاء وأهل البديهة يقولون : ما دام الأمريكان عاقدين العزم على ضرب سوريا وإيران ، كل واحدة في ترتيب معين واحدة تلو الأخرى فلماذا لا يدخلون الحرب الآن إلى جانب العراق ؟ وعندما نرد عليهم قائلين إن التكنولوجيا الأمريكية رهيبة إلى الدرجة التي ترونها ، كان البعض يعيد التكلم على البداهة ويقول : ولكن فرصة ثلاثة للنجاة وتحقيق النصر أكبر من فرصة واحد .

هل هناك فرصة لأن يستوعب عبيد العصا كلام البداهة ؟ هل شاهدوا ما حققه العراقيون على الأرض ؟ وماذا لو انتفضت المنطقة كلها ، مرة واحدة ، ألا يكون ذلك أدعى لسلامة الجميع ؟ أم أن قصر النظر يحد من رؤية كل واحد بحيث لا يرى إلا نفسه ؟ أم هي البغضاء المتأصلة التي تسول لكل حاكم عربي أن من الذكاء والحنكة والدهاء أن يكيد للآخر ويشمت به حين يخرب بيته وتنتهك حرماته وتداس كبرياؤه ؟

شيء مقرف ومروع ، يترك الحليم حيران ، ويمد حزب القاعدين المتمحكين بالأعذار بمدد مادي ومعنوي يطمع معه أن تكون الغلبة في النهاية للأعداء وأن يعيش الحزب المأجور في ظل الدبابات الأمريكية والإسرائيلية . ألم تر أنهم يسبحون بقوة التكنولوجيا الأمريكية وببطشها

ويزين بعضهم لبعض السلامة منها عن طريق طأطأة الرأس ، والمزيد من الطأطأة ، والمزيد المزيد المزيد منها ، حتى استوت رؤوسهم بجوار أحذيتهم !!